٨ – ومنها : ما قاله الناصر في (الانتصاف) : إنه يسلم استعمال (العود) بمعنى (الرجوع إلى أمر سابق) و يجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلي النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلي الظلمات) (١) والإخراج يستدعي دخولاً سابقاً فيما وقع الإخراج منه ، ونحن نعلم أن المؤمن الناشئ في الإيمان لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها . وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الإيمان ، ولا كان فيه . ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية التي خلق الله العبد متيسراً لكل واحد منهما متمكناً منه لو أراد ، فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ، ثم عدوله عنه إلي الإيمان ، إخباراً بالإخراج من الظلمات إلي النور ، توفيقاً من الله له ، ولطفاً به ، وبالعكس في حق الكافر . وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالي : (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي**) (٢) وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب . وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار ، لإقامة حجة الله علي عباده _ والله أعلم _ انتهي .

أمّا قوله (**إلا أن يشاء الله ربنا**) فقد قال الواحدي : والذي عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية ؛ أن شعيباً وأصحابه قالوا: ما كنا لنرجع إلي ملتكم ، بعد أن وقفنا علي أنها ضلالة تكسب دخول النار ، إلا أن يريد إهلاكنا . فأمورنا راجعة إلي الله ، غير خارجة عن قبضته ، يسعد من يشاء بالطاعة ، ويشقي من يشاء بالمعصية . وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله . ولم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة ، وانقلاب الأمر . ألا تري إلي قول الخليل عليه الصلاة والسلام (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) (٣) ؟ وكان نبينا محمد صلي الله

---

١ – البقرة : ٢٥٧ .

٢ – البقرة :١٦ .

٣ – إبراهيم ٣٥ .

عليه وسلم كثيراً ما يقول : يا مقلب القلوب ! ثبت قلبي على دينك (١) وقال الزجاج : المعني : وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها . وتصديق ذلك قوله (وسع ربنا كل شيء وعلما) يعني أنه تعالي يعلم ما يكون ، من قبل أن يكون ، وما سيكون . وأنه تعالي كان عالماً في الأزل بجميع الأشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالي . والشقي من شقي في علم الله تعالي . وقال الناصر في (الانتصاف) : موقع قوله (**وسع ربنا كل شيء علماً**) الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة ، والاطلاع علي الأمور الغائبة . فإن العود إلي الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد . ولو وقع ، فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه . فالحذر قائم ، والخوف لازم . ونظيره قول إبراهيم عليه السلام (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) (٢) لما رد الأمر إلي المشيئة ، وهي مغيبة ، مجد الله تعالي بالانفراد بعلم الغائبات – والله أعلم .

وقال أبو السعود : معني (وما يكون لنا ...) الآية – أي ما يصح لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال ،أو في وقت من الأوقات ، إلا أن يشاء الله . أي إلا حال مشيئة الله تعالي ، أو وقت مشيئته تعالي ، لعودنا فيها . وذلك مما لا يكاد يكون ،كما ينبئ عنه قوله تعالي (ربنا .....) فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالي لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالي لارتدادهم قطعاً ،وكذا قوله (بعد إذ نجانا الله منها) فإن تنجيته تعالي ايهم منها ، من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها . وقيل معناه : إلا أن يشاء الله خذلاننا . فيه دليل علي أن الكفر بمشيئته تعالي . وأيا ما كان ، فليس المراد بذلك بيان أن العود فيها في حيز الإمكان ، وخطر الوقوع ، بناء علي كون مشيئته تعالي كذلك . بل بيان استحالة وقوعها .كأنه قيل : وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ،وهيهات ذلك . بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالي له – انتهي – ولا يخفي أن إفهام ذلك الاستحالة

---

١ – الترمذي وقال حسن صحيح كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ٦ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ تحفة الأحوذي ..

٢ – الأنعام: ٨٠ .

،هو باعتبار الواقع ، وما يقتضيه منصب النبوة . وأما إذا لوحظ مقام الخوف والخشية ، الذي هو من أعلي مقامات الخواص ، فيكون ما ذكرناه أولا أدق ، وبالقبول أحق (١) .

عصمة الأنبياء من المعاصي :

١ ـ عصمة سيدنا آدم عليه السلام :

أما عن نسبة المعصية إلى آدم عليه السلام ففي تفسير قوله تعالي : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) قال العلامة القاسمي تحت عنوان تنبيه : وقوله (من الظالمين) أي من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى قال ابن مفلح الحنبلي في كتاب الإستعاذة : قال ابن حزم: حمل الأمر على الندب والنهى على الكراهة يقع فيه الفقهاء و الأفاضل كثيرا وهو الذي يقع من الأنبياء عليهم السلام و لا يؤاخذون به وعلى السبيل أكل آدم من الشجرة ومعنى قوله (فتكونا من الظالمين) أي ظالمين لأنفسكما والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فمن وضع الأمر والنهي في موضع الندب والكراهة فقد وضع الشيء في غير موضعه. انتهى.ثم قال:وقال أبو محمد بن حزم في الملل والنحل:لا براءة من المعصية أعظم من حال من ظن أن أحدا لا يحلف حانثا. وهكذا فعل آدم عليه السلام فإنه أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيا لنص القرآن ومتأولا وقاصدا إلى الخير لأنه قدر أنه يزداد حظوة عند الله فيكون ملكا مقربا أو خالدا فيما هو فيه أبدا.فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله به وكان الواجب أن يحمل أمر ربه على ظاهره لكن تأول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورا ولكن آدم لما فعل وأخرج عن الجنة إلى الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله تعالى قاتل الخطأ قاتلا كما سمى العامد .

---

١ – الرازي٦/٢٠٠، القاسمي ٧/٢٨١٤-٢٨١٩

٢ – البقرة ٣٥

والمخطئ لم يتعمد معصية وجعل في الخطأ في ذلك عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين لمن عجز عن القبة وهو لم يتعمد ذنبا (١) . انتهى . وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وجماعة من المتأخرين : الصواب أن آدم عليه السلام لما قاسمه عدو الله أنه ناصح وأكد كلامه بأنواع من التأكيدات : أحدها القسم . والثاني الإتيان بجملة اسمية لا فعلية . والثالث : تصديرها بأداة التأكيد. الرابع : الإتيان بلام التأكيد في الخبر. الخامس : الإتيان به أسم فاعل لا فعلا دالا على الحدث .السادس : تقديم المعمول علي القليل فيه ولم يظن آدم أن أحدا يحلف بالله كاذبا يمين غموس فظن صدقه و أنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح ولعله يتأتى له استدراك مفسدة اليمين في أثناء ذلك باعتذار أو توبة كما تجد هذا التأويل في نفس كل مؤمن أقدم على معصية .أ.هـ وقال ابن مفلح : فآدم عليه السلام لم يخرج من الجنة إلا بالتأويل ، فالتأويل لنص الله أخرجه ، وإلا فهو لم يقصد المعصية ، والمخالفة ، وأن يكون ظالما مستحقا للشقاء .انتهي[٢]

٢ ـ عصمة سيدنا يوسف عليه السلام:

مما نسب إليه بسبب عدم فهم قوله تعالي : ﴿ **ولقد همت به ، وهم بها لولا أن رأي برهان ربه ،كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ (٣) قوله تعالي : ﴿ **ولقد همت به** ﴾ أي بمخالطته ، أي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف ، بعد ما باشرت مبادئها من المراودة ،وتغليق الأبواب ، ودعوته إلي الإسراع إليها بقولها (هيت لك) مما اضطره إلي الهرب إلي الباب .

---

١ – الفصل ٤/٣١،٣٠

٢ – محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ١٠٨، ٩

٣ – يوسف: ٢٤

ومعني قوله : ﴿ وهم بها لولا أن رأي برهان ربه ﴾ أي لولا رؤيته برهان ربه لهم بها كما همت به لتوفر الدواعي و لكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء و الفحشاء قال أبو حيان : طول المفسرون في تفسير هذي اليمين ونسب بعضهم ليوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها ألبتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول لقد قارفت الإثم لولا أن عصمك الله) ولا نقول : إن جواب (لولا) متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك ... بل نقول : إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول جمهور البصريين في قول العرب أنت ظالم إن فعلت فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل وكذلك التقدير لولا أن رأي برهان ربه لهم بها فكان يوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم (١) .

فالآية حينئذ ناطقة بأنه لم يهم أصلاً وقيل جواب (لولا) لغشيها ونحوه فمعنى (الهم) حينئذ ما قاله الإمام الرازي من أنه خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ولكن يمنعه دينه عنه وكالمرأة الفائقة حسناً وجمالاً تتهيأ للشاب النامي القوي فتقع بين الشهوة والعفة وبين النفس والعقل مجاذبة ومنازعة (فالهم) هنا عبارة عن جواذب الطبيعة و رؤية البرهان جواذب الحكمة وهذا لا يدل على حصول الذنب بل كلما كانت هذه الحال أشد كانت القوة على لوازم العبودية أكمل

وقال شيخ الإسلام أبو السعود العمادي : إن همه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب و كونه ميلاً جبلياً لا يكاد يدخل تحت التكليف لا أنه قصدها قصداً اختيارياً ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبئ

---

١ - البحر المحيط ٥/٢٩٤ دار الفكر

عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين؟وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه- عليه السلام-تسجيلا محكما ؟ وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل . ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بأن قيل : ولقد هما بالمخالطة أو هم كل منهما بالآخر و صدر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو أثره من قوله عز وجل ٠(لولا أن رأي برهان ربه) أي حجته الباهرة ، الدالة علي كمال قبح الزني ، وسوء سبيله . والمراد برئيته له كمال إيقانه به ، ومشاهدته له مشاهدة واصلة إلي مرتبة عين اليقين ،وكأنه عليه السلام قد شاهد الزني بموجب ذلك البرهان النير ،علي ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون ، وأوجب ما يجب أن يحذر منه،ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام ، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه ، وجواب (لولا) محذوف ،يدل عليه الكلام . أي : لولا مشاهدة برهان ربه في شأن الزنا لجري علي موجب ميله الجبلي ، ولكن حيث كان مشاهدا له من قبل، استمر علي ما هو عليه من قضية البرهان .وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام ،لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة ، بل لمحض العفة والنزاهة ،مع وفور الدواعي الداخلية ، وترتيب المقدمات الخارجية ، المواجبة لظهور الأحكام الطبيعية (١) .

فاتضح أن لا شبهة فيها علي عصمة يوسف عليه السلام ، فإن الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس ، وخواطر الشهوة الجبلية ،ولكنهم معصومون من طاعتها ، والانقياد إليها ولو لم توجد عندهم دواع جبلية ،لكانوا إما ملائكة أو عالما آخر . ولما كانوا مأجورين علي ترك المناهي ، لأنهم يكونون مقهورين علي تركها طبعا . والعنين لا يؤجر ويثاب علي ترك الزنى ؛ لأن الأجر لا يكون إلا علي عمل ، والترك بغير داعية ليس عملا ولما الترك

---

١ - تفسير أبي السعود ٤/٢٦٢ الناشر دار المصحف .

مع الداعية ، فهو كف النفس عما تتشوف إليه ، فهو عمل نفسي . وحقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتهم وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق و الآداب و حجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرع و ليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري هذا وقد ألصق ، من تلك الأقاصيص المختلفة علي يوسف عليه السلام، في همه ،التي أنزه تأليفي عن نقلها ، بردها ،وكلها _ كما قال العلامة أبو السعود- خرافات وأباطيل تمجها الآذان ، وتردها العقول والأذهان ، ويل لمن لاكها ولفقها ،أو سمعها وصدقها. وقال أبو السعود : وفي قوله تعالي : (لنصرف عنه ...) الخ آية بينة و حجة قاطعة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يقع منه هم بالمعصية و لا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى بما فيه من موجبات العفة والعصمة .

قال الشهاب : قيل : إن كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءته عليه السلام .فشهد الله تعالي بقوله (لنصرف .. .) الخ ،وشهد هو علي نفسه بقوله : (هي راودتني) ونحوه ، وشهدت امرأة العزيز بقولها : (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) ، وسيدها بقوله : إنك كنت من الخاطئين وإبليس بقوله :(لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فتضمن إخباره بأنه لم يغوه ، ومع هذا كله لم يبرئه أهل القصص .انتهي . عفا الله عنهم ! (١) . وقال الإمام أبو بكر ابن العربي أنه حضر درساً بمدينة السلام لإمام من الصوفية وأي إمام يعرف بابن عطاء.فتكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه فقام رجل آخر مجلسه فقال يا شيخ يا سيدنا فإذن يوسف هم وما تم .فقال نعم،لأن العناية من ثَمّ فانظروا إلى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامي

---

١ – محاسن التأويل للقاسمي : ٩/٣٥٢٨-٣٥٣١ النسفي ٢/٢١٧ .

في سؤاله والعالم في اختصاره واستيفائه . ولذا قال علماؤنا الصوفية : إن فائدة قوله تعالى : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ﴾ يوسف : ٢٢

إن الله أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى(١)

٢ ـ عصمة سيدنا داود :

مما نسب إليه ومما يوهم نسبة المعصية إليه قوله تعالى : (**فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفي وحسن مئاب**) (٢) .

١ – قيل : إنها تشير تعريضا إلى وزر ألم به داود عليه السلام ثم غفر له ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك ..... وقد قال السيوطي في (الإكليل في استنباط أحكام آي التنزيل) القصة التي يحكونها في شأن المرأة وأنها أعجبته وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعا وفي إسناده ابن لهيعة وحاله معروف عن ابن صخر عن يزيد الرقاشي وهو ضعيف وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفا . بل و المرفوع إلي النبي (ﷺ) فيها لم يأت من طريق صحيح وأما الموقوف من ذلك علي الصحب والأتباع رضي الله عنهم فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراه من هذا النبأ أو الثقة بمن حكي عنها وينبني علي ذلك ذهابهم إلي تجويز مثل هذا علي الأنبياء. و قيل يجب تبرئة داوود عليه السلام من هذا الظن قال العلامة ابن حزم في (الفصل) : ما حكاه تعالي عن داود عليه السلام قول صادق صحيح لا يدل علي شئ مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وإنما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم

---

١ – نفح الطيب للمقري ٢/٢٥١ .

٢ – سورة ص : (٢٥) .

علي الحقيقة بينهم . بغي أحدهما علي الآخر علي نص الآية . ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب علي الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل وأقر علي نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة لأن الله تعالي يقول : (**وهل أتاك نبأ الخصم**) فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغي بعضهم علي بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها. فاعجبوا .لم يقحمون في الباطل أنفسهم ؟ ونعوذ بالله من الخذلان . ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوي المجردة وتالله ! إن كل إمرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردون لا أفعال أهل البر والتقوي فكيف برسول الله داود صلي الله عليه وسلم الذي أوحي إليه كتابه وأجري علي لسانه كلامه ؟لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيفه إلي أفعاله ؟ وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله له فالأنبياء عليهم السلام أولي الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض . والملائكة كما قال الله تعالي : (**ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ووقهم عذاب الجحيم**) (١) .

وأما قوله تعالي عن داود (**وظن داود إنما فتناه**) وقوله تعالى : (**فغفرنا له ذلك**) فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله (ﷺ) يدعو بأن يثبت الله قلبه على دينه . (٢) فاستغفر الله من هذا الظن فغفر الله تعالي له هذا الظن إذ لم يكن ما آتاه الله تعالي

---

١ - غافر : ٧ .

٢ - الترمذي كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن .

من ذلك فتنة (١) . انتهي .وقال البقاعي (في تفسيره) وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود ثم قال : وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يعتمدون ذلك في حق داود عليه السلام لأن عيسي عليه السلام من ذريته ليجدوا سبيلا إلي الطعن فيه . انتهي . وقال القاسمي وقوله تعالي (**فغفرنا له ذلك**) أي الوقوع في الحديث عن اسناد الظلم إلي أحد دون سماع لكلامه وهذه الدعوي تدريب لداود عليه السلام في الأحكام وذكرها للنبي (ﷺ) تدريب له في الأناء في جميع أموره علي الدوام ولما ذكر هذا ربما أوهم شيئا في مقامه (ﷺ) فدفعه بقوله (**وإن له عندنا لزلفي وحسن مئاب**) فالقصة لم يجر ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال وأول دليل علي ما ذكرته أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم لا بامرأة ولا غيرها وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر فكم من باطل مشهور ومذكور هو عين للزور .انتهي. وقال ابن كثير : قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روي ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولي أن يقتصر علي مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلي الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا انتهي.

وقال القاضي عياض في (الشفا) وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلي ما سطره فيها الإخباريون عني أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله علي شئ من ذلك ولا ورد في حديث صحيح .و الذي نص الله عليه قوله (وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) وقوله فيه (أواب) فمعنى (فتناه) أي اختبرناه . و(أواب) قال قتادة : مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود:ما زاد داود على أن قال للرجل :انزل عن امرأتك واكفلنيها . فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه . وأنكر عليه شغله

---

١ – الفصل في الملل ٤/٤٤، ٤٣ .

بالدنيا . وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره.وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد.وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله (لقد ظلمك) فظلمه بقول خصمه . وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا . وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك –ذهب أحمد بن نصر و أبو تمام و غيرهما من المحققين .وقد روي أن عمر بن عبد العزيز حدث بنبأ داود على ما يرويه القصاص وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على مافي كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلاقها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر : لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس نقله الزمخشري .قال الناصر في (الانتصاف) وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب مبرءون من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة وهذا هو الحق الأبلج والسبيل الأبهج إن شاء الله تعالى (١) .

وفي المواقف وشرحها : ونسبة الكذب إلى اللصوص – لعلها النصوص – أولى من نسبته إلى الملائكة (٢) .

٤ـ عصمة نبي الله سليمان :

مما نسب إليه مما فهم من ظاهر قوله تعالي : (**ولقد فتنا سليمان وألقينا علي كرسيه جسدا ثم أناب**) (٣) قال ابن كثير :عما رواه الأثريون من القصص المختلفة ... وكلها متلقاه من الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه

---

١ – محاسن التأويل للقاسمي: ١٤ / ٥٠٨٨ ـــ الرازي ٢٩٣،٣٠٥٥،٩٣/١٣ .

٢ – المواقف ٢٧٣/٨ .

٣ – ص :٣٤ .

الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في سياقها منكرات .وقال القاسمي: (١) وتقوية ابن حجر لبعض منها بأنه خرجه النسائي بإسناد قوي لا عبرة له فليس المقام قاصرا علي صحة السند فحسب لو كان ذلك في الصحيحين فإني بمروي غيرهما ؟

وذكر الرازي أن القصص المروية هنا هي لأهل الحشو من تأويلهم وأما أهل التحقيق فلهم تأويلات وسنذكرها عند الحديث عن قصته عليه السلام .

وقال الإمام ابن حزم معني قوله تعالي (فتنا سليمان) أي آتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالي مصدقا لموسي عليه السلام في قوله (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) إذ من الفتنة ما يهدي بها الله من يشاء وقال تعالي (الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فهذه الفتنة هي الاختبار حتي يظهر المهتدي من الضال فهذه فتنة الله تعالي لسليمان إنما هي اختباره حتي ظهر فضله فقط وما عدا ذلك فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم وأما الجسد الملقي علي كرسيه فقد أصاب الله تعالي به ما أراد نؤمن بهذا كما هو ونقول (صدق الله عز وجل. كل من عند الله ربنا) ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به . (٢) فإذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لأحد القول بالظن الذي هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذبا علي الله عز وجل إلا أننا لا نشك البتة في بطلان قول من قال إنه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع علي أنه كذب والله تعالي لا يهتك ستر رسوله صلي الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد في قول من قال إنه كان ولدا له أرسله إلي السحاب ليربيه . فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنيه البشر

---

١ - ابن كثير ٣٦/٤ .

٢ - محاسن التأويل للقاسمي : ١٤ / ٥١٠٤ ، ٥١٠٥ ، الرازي ٣٢٨/١٣-٣٣٢ .

فجاء بنو آدم على قدر الأرض (١) . و آدم كلمة عربية مشتقة من أدمة الأرض وأديمها وهو وجهها فسمى بما خلق منه .والقول بعربيته جزم به الجوهري والجواليقي أما أنه من أديم الأرض قول ابن عباس.(٢) وقال بعضهم إنه مشتق من الأدمة وهي السمرة . وزعم بعضهم أن الأدمة هي البياض.وليس هذا أو ذاك بشيء ؛لأن الأدمة نفسها مشتقة من الأديم ،أي من لون الأدمة وهي إلى السمرة أقرب.وصحح القرطبي أنه مشتق من أديم الأرض (٣) قال تعالى : (**إني خالق بشراً من طين**) {ص:٧١} البشر من البَشْرَة وهي وجه الأديم و بَشَرَ الأديم يعني قَشَرَه (٤) قال الإمام النووي بعد أن ذكر الأقوال في اشتقاق : وهذا كله اسمه تصريح منهم بأن آدم اسم عربي مشتق وإلا فالعجمي لا اشتقاق له.و قال أيضاً :اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة (٥) .

وردت قصته عليه السلام في سور : البقرة ، الأعراف ، الحجر ، الإسراء ، الكهف ، طه ، ص.

٢ ـ إدريس عليه السلام :

قال البخاري وهو جد أبي نوح ويقال جد نوح عليه السلام (٦) .

---

١ – أبو داود كتاب السنة باب في القدر٤/٢٢٢،٢٢١ وسكت عليه وقال ابن حجر أخرجه أبو داود الترمذي وصححه ابن حبان (الفتح ٦/٤١٩) .

٢ – الفتح ٦/٤١٩ .

٣ – الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٩ .

٤ – العلم الأعجمي ١/٢١٩،٢١٨ .

٥ – تهذيب الأسماء واللغات ١/٩٦ .

٦ – البخاري كتاب الأنبياء باب ذكر إدريس ٦/٤٣١

قال ابن حجر : الأول أولى من الثاني ، ولعل الثاني أطلق ذلك مجازا لأن جد الأب جد (١) . ونسب نوح عن ابن كثير نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس (٢) . وعلى ذلك فإن الثاني من قولي البخاري هو الأصح . أما قول ابن كثير خنوخ هو إدريس فمرده إلى أحبار من أهل الكتاب . عرفوا أن إدريس في العربية تكافئ (أخنوخ) في العبرية (أخنوخ) أصلها العبري (حَنوك) التي تنطق كافها خاء فالعبرية تنطق الكاف خاء إذا تحرك أو اعتل ما قبلها فهي عندهم (حنوخ) عربها العرب إلى (أخنوخ) ومعنى (حنوك) العبرية هي على المفعولية من الفعل العبري (حنك) على معنى (حنكه)العربي أي فقهه و ثقفه وعلمه فهي المحنك المحنوك . أما إدريس فهو من 'درس "العربية فهو الدارس من المدارسة والتدارس على المبالغة الكثير العلم . قال ابن حجر: قيل له ذلك لكثرة درسه الصحف . فجاءت إدريس على الترجمة تحاشيا لثقل "أخنوخ"التي عرف بها هذا الاسم العلم قبل القرآن (٣) . وليست المستشرقون غيظاً لطلبهم في القرآن هفوة أو سقطة فلما وجدوها إذا هي معجزة تنطق بصدق القرآن المهيمن على الكتب السابقة (٤) .

٣ ـ نوح عليه السلام :

وردت قصته في سور الأعراف، هود،المؤمنون،الشعراء،القمر، نوح .كان بينه وبين آدم عشرة قرون . وهو أول الرسل إلى أهل الأرض سماه الله عبداً

---

١ – الفتح ٦/ ٤٣٢

٢ – البداية والنهاية : ١١٦/١

٣ – العلم الأعجمي ٢٢٦/١،الفتح ٤٣١/٦

٤ – أشير إلى تعجبهم من إيراد كلمة إدريس حيث لم ترد في كتبهم *(العلم الأعجمي ١/ ٢٢٥)

شكورا قيل إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ([1]) .بعثه الله بعد إدريس ، وهو أول من صنع السفينة بأمر الله تعالى ، وكانت سبب نجاته ومن آمن به ، وجعل ذريته هم الباقين لذا سمى آدم الأصغر ([2]) . وصية نوح لولده قال رسول الله (ﷺ)- فيما رواه الإمام أحمد- إن نبي الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله وآمرك بسبحان الله وبحمده فإن صلات كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر ... قال ابن كثير وهو إسناده صحيح ولم يخرجوه ([3]).

ونوح هو لفظ عبري وهو من العربي بالخاء . أناخ ينيخ أناخ بالمكان أقام . نوح إذن من النوحة و الإناخة فهو النائح المتنوح أي اللابث صار علماً لطول مكثه في قومه وطول ملاحتهم له وهذا هو التفسير القرآني لمعنى (نوح) فسره بالمرادف في مثل قوله عز وجل (**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما**) العنكبوت :١٤ وأكد (**إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله**) يونس :٧١ .

تتمة:وبالمناسبة نتحدث عن مرسى سفينته عليه السلام الجودي هو اسم مرسى سفينة نوح في القرآن والمعروف عند أهل الكتاب أن مُرسى سفينة نوح هو

---

١ البخاري ومعه الفتح ٦ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

٢ معترك الأقران ٢/٥٣٤ .

٣ – البداية والنهاية لابن كثير : ١/١٣٧،الترغيب و الترهيب ٢/٢٤٠،مجمع الزوائد ١٠/ ٨٤ .

"أراراط " (١). من "سفر التكوين" ٨/٤" واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط " و "أراراط " في عبرية التوراة يعني "أرمينية " نفسها ، فسفر التكوين لم يسم جبلاً بعينه لمرسى نوح ، وإنما قال ببساطة : إن السفينة رست على "جبال أرمينية " ونسى الناس أو تناسوا هذا فوهموا أن هناك جبلاً بعينه اسمه و"أراراط "رست عليه السفينة وقال المستشرقون قال القرآن الجودي وقالت التوراة "أراراط " ولكن التوراة لم تقل "أراراط " كما مر وإنما قالت "جبل من جبال أراراط " أي في أرمينية و لم تسمه وسماه القرآن .التوراة عممت والقرآن خصص فلا تعارض بينهما والعلم الموحى به في القرآن على غير سابقة في التوراة يجيء في القرآن عربي فالجودي إذن عربي ولعلها مشتقة من الجود أي "ذو الجود" و جاد المطر أي كثر والجود بفتح الجيم المطر الغزير الذي لا مطر فوقه. والجبال العالية التي تذوب ثلوجها في الربيع تفيض منها المياه سيولاً و أنهاراً ومنها جبال أرمينية منابع الفرات .. وسفر التكوين يقول إن السفينة رست على جبال "أراراط" في السابع عشر من الشهر السابع لبدء الطوفان وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر وفي العاشر أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال "تكوين ٨/٤،٥ " فتكون السفينة رست قبل نحو ٧٣ يوماً من ظهور رؤوس الجبال ،فعلى أي الجبال رست إذن أن لم تكن رست على أعلاها ،بل على أكثرها ارتفاعاً، وهذا غير معقول لأنه بالغ المشقة على نوح والذين معه ،شباباً وشيوخاً نساء وأطفالا، الذين سيهبطون إلى السهول من هذا الارتفاع الشامخ أمّا القرآن فيقول لك إن الماء غيض أولاً ثم استوت السفينة على قاع من الأرض هبط إليه نوح والذين معه بسلام كان بسم الله مجراها ومرساها ، أي كان بسم الله حملها على سفح الماء ، وكان باسمه أيضاً إهباطها إلى سفح من الأرض ، شاطئ نهر أو ناحية جبل ، والعرب يسمون شاطئ النهر أو ناحية الجبل "الجُد" و "الجُدة" (ومنه الميناء

---

١ – تتبع تركيا الآن وتريد أرمنية أن تضمها إليها

المعروف "جُدة" بالمملكة العربية السعودية) فلعل "الجُودي" أصله "الجُدي" المنسوب إلى "الجُد" فهو المرسى استعيض عن تشديد داله بمد حركة جيمه ويكون المعنى"استوت على الجودي" أن السفينة رست على مرساها دون تحديد لموقع (١) .

٤ ـ هود عليه السلام:

وردت قصته في سور الأعراف، هود، الشعراء،حيث ذكر اسمه فيها صريحاً، أمّا في الأحقاف فتحدثت عنه (**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف**) والمقصود أن عادا كانوا عربا جفاة كافرين عتاة متمردين في عبادة الأصنام فأرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له فلما أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة فكذبوه وخالفوه وتنقصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر (٢) .

إرم مدينة عاد قوم هود اسم أعجمي ويكون عاد وهود من العربية الأولى التي يحتاج فهمها إلى بحث في فصائل سامية عن جذور أميتت في العربية وبقيت حية في غيرها

ونسب ابن إسحاق عادا فقال : عاد بن عوص بن إرم بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وليس هذا هو عمود النسب في سفر التكوين فلعله أخذه من أحبار يهود وهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني ونسب هودا فقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود وهذا على خلاف عمود النسب في سفر التكوين بل ليس فيه

---

١ – العلم الأعجمي ١/٢٣٦،٢٣٤

٢ – البداية والنهاية لابن كثير : ١/١٤١

أصلا هوّد تاهيك بعبد الله والجلود (١) . وهود: اسم عربي من "هاد" بمعنى رجع فهو بمعنى التائب.

وهود مشتقة من هاد ومنها اشتق أيضا اليهود من هاد

وهذا يعني أن هودا من العربية الأولى التي تكلم بها سكان شبه الجزيرة العربية جميعا منذ أزمان سحيقة لا يعلمها إلا الله وتفرقت من بعد في الساميات جميعا.أما عاد فهي من العربية الأولى نستمد معناها من الجذور الآرامية والعبرية وهي"عاد" في الآرامية- العبرية "الأبد والخلود" قال تعالى : (**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية.سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية)** الحاقة : ٦ ــ٨. وفسرت في المرة الثانية على التقابل في قوله عز وجل : (**وأنه أهلك عاداً الأولى. وثمود فما أبقى**) النجم ٤٩ــ٥٠ أى ما عادت عاد ولم تعود .أما إرم فهي في الآرامية- العبرية مشتقة من العلو والعلاء فهي العالية والمعلاء وردت إرم في القرآن الكريم مرة واحدة فسرت فيها بهذا المعنى نفسه قال تعالى : (**ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد**) الفجر ٦ــ٨ وهو تفسير على الترادف اللصيق إرم- ذات العماد(٢)

---

١ - في الألوسي ١٥٤/٤ والبيضاوي ٣٠٤/٤ والبداية والنهاية ١٣٨/١هود بن شالخ ونسبوه لمحمد بن إسحق وذكروا النسب المذكور كذلك أما الجلود ففي بعض الكتب الخلود أو الجارود وكله ظن ! والله أعلم .

٢ - العلم الأعجمي ٢٣٧/١ ــ٢٤١ .